مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

السياسة الخارجية الإيرانية : التحولات الأيديولوجية و الثوابت البراغماتية ...محاولة للفهم

شنين محمد المهدي
قسم العلوم السياسية ، كلية الحقوق والعلوم السياسية،جامعة قاصدي مرباح- الجزائر
chenine.mohammed@univ-ouargla.dz

الملخص -

إيران دولة محورية ذات دور مركزي في الشرق الأوسط، شهدت تحولات أيديولوجية بعد الثورة، من حيث الأفكار و سرديات الخطاب السياسي، لكن الأيديولوجيا لم تكن على حساب المصالح البراغماتية، تسعى هذه الدراسة لتفكيك العلاقة بين الأيديولوجي و البراغماتي في سياسة إيران الخارجية، من خلال استعراض تأثير كل متغير في تحديدها،و استقراء بعض محطات السياسة الخارجية الإيرانية التي شهدت تعارضا بين المتغيرين .

الكلمات الدالة :

السياسة الخارجية ، الأيديولوجيا ، البراغماتية ، إيران ، الثورة ، ولاية الفقيه

Iranian foreign policy: the ideological shifts and constants pragmatism ...Trying to understand

Abstract-

Iran is a pivotal state , it has principal role in the middle east , it saw ideological changes after the revolution, change in ideas and thought and political speech . This study aims to dismantling the relationship between the ideology and pragmatism in Iranian foreign policy , through show the factors each determine , to present some events witnessed contending between factors .

Key words

Foreign policy, ideology, pragmatism, Iran, the revolution, the velayat-e faqih.

مقدمة -

على الدوام كانت إيران فاعلا مهما في الشرق الأوسط قبل و بعد الثورة ، من خلال سياساتها و تحالفاتها ،و باعتبارها تحمل إدراكا تاريخيا بدورها المركزي، كونها الدولة " الطبيعية" في المنطقة ذات الامتداد الحضاري ، كانت الأيديولوجيا ملمحا مستمرا في السياسة الإيرانية، ففي العهد البهلوي تضخمت الذات الفارسية و أضحت هي الأيديولوجيا الطابعة لسياسة إيران ،وعقب الثورة تصدر الدين و الطائفة ، بعد تحول إيران من الحكم الشاهنشاهي إلى حكم الولي الفقيه .

في كل مرحلة من مراحل الدولة الإيرانية كان هناك نمط إيديولوجي يسم السياسة الإيرانية ، لكن على الدوام لم يكن هذا على حساب المصالح العليا لإيران ، فالنهج البراغماتي كان هو المتحكم في الخيارات الإيرانية تجاه التطورات في محيطها ، بناء على ما تقدم تسعى هذه الورقة للبحث في جدلية العلاقة بين الأيديولوجي – و البراغماتي في سياسة إيران الخارجية ، و إلى أي مدى يمكن اعتبار المتغيرات الأيديولوجية محددات مركزية لعلاقات إيران الدولية ؟.

1/ تفكيك العلاقة بين الأيديولوجيا و السياسة الخارجية :

تعرف الأيديولوجيا Ideology أنها منظومة من الأفكار تهدف إلى غاية عملية ، فهي مجموعة من الأفكار عن العالم وعن الحياة وعن المجتمع تصلح قاعدة لعمل جماعي، لذلك فهي بعيدة عن خصائص التفكير الشخصي وعن مرونته لأنها أقرب لأن تكون برنامج عمل . [1]

1- نوري النعيمي أحمد ،عملية صنع القرار في السياسة الخارجية الولايات المتحدة أنموذجا ،دار زهران ،عمان،2011، ص 381.

وحسب **لويد جونسون** Lloyd Johnson **لا تنبثق السياسة الخارجية فجأة في أذهان صانعي القرار، إن السياسة الخارجية هي نتاج لخبرات الدولة السابقة، وللمعتقدات السياسية والإيديولوجية التي تراكمت عبر الزمن** [1]**، فالمحدد الإيديولوجي هو تلك الأفكار التي يعتنقها أفراد المجتمع والتي تحدد رؤيتهم للعالم السياسي، وهذه التوجهات المجتمعية ليست مجرد آراء عابرة ، ولكنها أفكار تتسم بثباتها النسبي.** [2]

وقد انقسم الباحثون حول دور المحدد الأيديولوجي بين من يقلل من أهميته ودوره وأثره على السياسة الخارجية ، أما كيفية تأثير الأيديولوجية في صناعة القرار فيتم ذلك من خلال التأكيد على ضرورة وجود أيديولوجية واضحة لكل نظام سياسي ،وذلك بوصفها ليست فقط أداة لتقويم الواقع والمستقبل ،بل أيضا محدد لنوعية الدور الذي تلعبه الدولة في النظام السياسي الدولي وتصورها لما يجب أن يكون عليه . [3]

فيؤثر النسق العقدي للدولة على تصورها لما يحدث في النظام الدولي فهو بمثابة شاشة إدراكية يتم من خلالها تجاهل بعض الأحداث أو تفسيرها بما يتوافق مع النسق العقدي ، كما أن هذا الأخير يضع قيودا على خيارات السياسة الخارجية ، فصانعوا القرار حتى في الدول التسلطية يجدون شيئا من الصعوبة في التصرف بطريقة مخالفة للمعتقدات السائدة لدى شعوبهم، إذ أن النسق الأيديولوجي للدولة يعتبر أداة لتبرير خيارات السياسة

---

[1] - جنسن لويد ،تفسير السياسة الخارجية،(ترجمة محمد بن احمد المغني ومحمد السيد سليم)، جامعة الملك سعود، الرياض، ،1989، ص 83.

[2] - أحمد الحباشنة صداح ،محددات السياسة الخارجية الإيرانية تجاه الولايات المتحدة الأمريكية (1979،2007) ،سلسلة العلوم الاجتماعية ،العدد الخامس، مؤتة للبحوث والدراسات، 2008، ص 16.

[3] - أحمد نوري النعيمي ، ص 383، مرجع السابق.

الخارجية التي تقدم للجماهير على أنها تمثل مجموعة من القيم المشتركة.[1]

لكن رغم كل هذا فدرجة تأثير الأيديولوجيا تختلف باختلاف مرحلة التطور السياسي ودرجة التطور الاقتصادي للدولة ، إذ يزداد تأثير الأيديولوجيا في المراحل الأولى للثورات الاجتماعية، لكنه من الملاحظ تراجعه وانحساره كلما ازدادت درجة التطور الاقتصادي، فمع ازدياد الارتباطات الاقتصادية للدولة تظهر مشكلات جديدة يصعب للأيديولوجيا تقديم حلول لها ، كما أنه يجب الإشارة إلى أن تأثير الأيديولوجيا على السياسة الخارجية يزداد كلما قل تأثر الدولة بالمشكلة التي تصاغ السياسة الخارجية تجاهها.[2]

تحدد السياسة الخارجية الإيرانية جملة من الضوابط الأيديولوجية منها ما هو من إفرازات الثورة ،ومنها ما هو امتداد لما قبلها، ومن أبرز هذه المحددات نجد نظرية ولاية الفقيه ، وما أفرزته من نظرة للواقع الدولي من خلال اجتهادات الإمام الخميني، و كذلك نجد القومية الفارسية التي تعلى من الوطنية الإيرانية الفارسية ،بما لها من جذور تاريخية وامتدادات حضارية عميقة ،و قبل التعرض لتأثير ولاية الفقيه على السياسة الخارجية نتناول بشيء من الإيجاز تطور النظرية في الفكر الشيعي .

2/نظرية ولاية الفقيه: من الاجتهاد الفكري إلى التجسيد العملي.

مثلت ايران بعد الثورة أول تجسيد لنظرية ولاية الفقيه في الفكر الشيعي ، حيث كانت هذه النظرية حبيسة الكتب و الحوزات العلمية ، مكنت الثورة آية الله الخميني من فرضها كنظام حكم في ايران ، و أضحت من أهم محددات السياسة الإيرانية داخليا و خارجيا .

1- جنسون لويد، ص ص 84،85 ، مرجع السابق.

2- أحمد الحباشنة صداح ، ص 18، مرجع السابق.

أ/ الخميني و استدعاء نظرية الولي الفقيه:

تعود أصول هذه النظرية إلى محمد بن مكي الجزيني العاملي نسبة إلى جبل عامل في لبنان (ت.786 هـ –1472م) ،حيث دعا إلى التوسع في عمل الفقهاء استنادا إلى فكرة نيابة الفقهاء العامة المأخوذة عن "الإمام المهدي المنتظر" غير أن العاملي ركز على القضاء والحدود وصلاة الجمعة دون أي اعتبار لموضوع الحكم، ثم طور الفكرة من بعده بعض الفقهاء من أبرزهم الشيخ كاشاني في القرن 19 والذي استخدم ولاية الفقيه للمرة الأولى ،أي أن للفقيه في غيبة الإمام ولاية في أمور الدين والدنيا التي كانت للنبي والأئمة .[1]

غير أن هذه الفكرة طورت إلى ما يعرف بولاية الفقيه المطلقة على يد آية الله روح الله بن مصطفى بن أحمد الموسوي الخميني (1902- 1989) ، والذي نقل الفكر الشيعي من مرحلة السلبية والانتظار إلى مرحلة الفاعلية والنشاط السياسي والفكري ،بعدما كان الفكر الشيعي الإثنا عشري يقصر الولاية العامة في أشخاص معينين بأسمائهم وعددهم ، حيث ساد الاعتقاد "بأن كل راية ترفع قبل أن يقوم القائم فصاحبها طاغوت وإن كان يدعو إلى الحق" [2]،فولاية الفقيه حسب الشيعة الإثنا عشرية الجعفرية هي ولاية و حاكميه الفقيه الجامع للشرائط في عصر غيبة الإمام الحجة ، حيث ينوب الولي الفقيه عن الإمام المنتظر في قيادة الأمة وإقامة حكم الله على الأرض. [3]

---

[1]- عبد الحي وليد ،إيران مستقبل المكانة الإقليمية عام 2020 ، مركز الدراسات التطبيقية ،الجزائر، 2010، ص 151 .

[2]- زرنير آمال ، السياسة الخارجية بين تطبيق نظرية ولاية الفقيه وتطبيق العامل الشيعي ، مجلة آراء حول الخليج، العدد 94 ، مركز الخليج للأبحاث ، الإمارات ، يوليو 2012 ، ص 61 .

[3]- صادق إسماعيل محمد ،إيران من الشاه إلى نجاد، العربي للنشر و التوزيع ،القاهرة ،(د ت ن)، ص151.

هذه الفكرة تدور حول قضية من يملك المبرر الشرعي والأساس الفلسفي لتولي الإمامة (ممارسة الحكم) ،في المجتمع الشيعي أثناء فترة الغيبة الصغرى للإمام التي بدأت بغيبة المهدي عام 620 ه [1]، انتقال الولاية و مراتبها حسب نظرية ولاية الفقيه المطلقة يكون بالتسلسل ،انطلاقا من أن مبدأ الحاكمية في الإسلام هو لله فهو صاحب السيادة على المخلوقات كافة ، وتستمد الولاية الأرضية تشريعها منه ، وتتمثل هذه الولاية في ثلاثة امتدادات تتجسد فيها حاكمية الله على الأرض كما تقضي نظرية ولاية الفقيه المطلقة وهي : النبوة ، والإمامة ،وولاية الفقيه . [2]

صاغ الخميني نظرية ولاية الفقيه المطلقة في كتابه "الحكومة الإسلامية "والذي كان في بدايته مجموعة محاضرات سنة 1969 ،ثم طبع لاحقا في كل من لبنان 1970 و إيران 1977 ، وقد اعتبر الخميني أن ولاية الأئمة هي ذاتها ولاية الفقيه العادل ، وأن وظيفتها واحدة رغم سمو منزلة الإمام المعصوم على الفقيه [3] ،وقد جاء دستور 1979 مانحا كل الصلاحيات للإمام (الولي الفقيه) ونظم العلاقة بينه وبين الأمة بوصفها صاحبة السيادة على نفسها زمن الغيبة ، وتبعا للدستور أصبحت سلطة الولي الفقيه أعلى من سلطات مختلف المؤسسات . [4]

---

[1]- طلال صالح بنان ، ايران معضلة التعايش بين نظرية ولاية الفقيه والديمقراطية ، مجلة_السياسة الدولية_، العدد 155 ، مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية ، القاهرة ، يناير 2004 .ص13.

[2]- اللباد مصطفى ،حدائق الأحزان إيران وولاية الفقيه ،دار الشروق ،القاهرة ، (د ت ن) ، ص 99.

[3]- عبد الحي وليد ، ص 151، مرجع السابق.

[4]- أحمد الحباشنة صداح ، ص 24، مرجع السابق.

الملاحظ أن نظرية ولاية الفقيه المطلقة لم تحظى بإجماع عبر التاريخ الشيعي بل هناك من أنكرها أصلا ، ومن أشهر من رفض الولاية المطلقة للفقيه من المراجع المعاصرين نجد السيد الخوئي والذي توفي بعد ثلاثة سنوات من الثورة ،وهذا الرفض جاء في كتابه "الاجتهاد والتقليد" لأن أدلة الخميني حسبه قاصرة السند والدلالة ، وكذلك نجد آية الله شريعت مداري (1905- 1986) والذي طالب بنظام حكم ذي طبيعة تمثيلية واسعة تعكس جميع القوي السياسية والاجتماعية الفاعلة في إيران [1]، كذلك نجد من ابرز المعارضين للولاية الفقيه المطلقة آية الله حسين منتظري (1922- 2009) والذي كان نائبا للخميني وتم عزله سنة 1989 قبل شهرين من وفاته ، رغم أنه كان المرشح الأقوى لخلافة الخميني ، ووضع تحت الإقامة الجبرية سنة 2006 إلى أن توفي . [2]

ب/ سرديات الإسلام الثوري : ثنائية الاستكبار و الاستضعاف في علاقات إيران الدولية -

بناء على ما سبق يتضح المحدد الأيديولوجي الأبرز في تشكيل إدراك صانع القرار ونظرته للعالم ، من خلال ما طرحته هذه الفكرة وما حوته من اجتهادات الخميني حول النظام الدولي والعلاقات الدولية ، والتي أقرت في الدستور الإيراني وميزته بعد الثورة بما أصبح يعرف بالإسلام الثوري ،و هو حسب الاجتهاد الإيراني يأتي من قيم الحق والعدل والمساواة على الصعيدين الداخلي والخارجي ، ويتعامل مع الواقع الدولي مستندا إلى هذه المعايير وبمدلولاتها الإسلامية بغض النظر عن درجة تطابقها مع المدلولات المتداولة لها في القوانين الدولية الوضعية. [3]

---

[1]- طلال صالح بنان، ص14، مرجع السابق.

[2]- عبد الحي وليد، ص 152 ، مرجع السابق.

[3]- نفس المرجع السابق ، ص 261.

تقول **شيرين هانتر** (**Shireen Hunter**) في كتابها إيران والعالم الاستمرارية في العقد الثوري " Iran and the World Continuity in a Rrvolutionary Decade" ،إن محور تفكير الإمام الخميني في السياسة الخارجية لا يقوم على النظرة الإسلامية التقليدية المتأسسة على مفهومي دار السلام ودار الحرب، وإنما على مفهومي المستكبرين والمستضعفين، ووفقا لهذه النظرية الجديدة لا يتوقف دور الدولة الإسلامية على حماية دار الإسلام وإنما يشتمل أيضا على المساهمة في توحيد كل المناوئين للظلم والهيمنة .[1]

في تحليل الخميني تبعا لنظرية ولاية الفقيه من المهم التركيز على ثلاثة مفاهيم أساسية أثرت في كيفية إدارة إيران لسياستها الخارجية وهي:[2]

1) **الحكومة الإسلامية:** وذلك من أجل تطبيق أحكام الإسلام في ظل استمرارية غيبة الإمام ،وتوحيد المسلمين وتحريرهم من الاستعمار وأتباعه .

2) **فكرة الأممية الدينية :** حيث انتقد الخميني النعرات القومية التي تقسم العالم الإسلامي وأرجع آثارها إلى الاستعمار والقوى العظمى .

3) **فكرة الحياد:**وذلك من محتوى إسلامي حسب الخميني عبر محددات شرعية هي عدم جواز الخضوع لغير الله والحفاظ على الهوية والترابط الوثيق بين الدين والسياسة ورفض فصلهما كأثر من آثار التبعية للخارج .

تحدث الخميني عما أسماه بالإمبريالية الشرقية والإمبريالية الغربية ، ونظر إلى النظام الدولي القائم كنظام ثنائي القطبية ينقسم بين السيطرة السوفيتية والأمريكية الغربية ، واعتبر الثورات قبل ثورة إيران بأنها مرتبطة بالشرق أو بالغرب ، حيث يقول أن النظام الإسلامي وثورته هي الوحيدة الغير

---

[1]- عبد الله يوسف سهر محمد ، السياسة الخارجية الإيرانية تحليل لصناعة القرار ، السياسة الدولية ، العدد 138، مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية ، 1999 ، ص 11 .

[2]- زرنير أمال ، ص 62 ، مرجع السابق.

منحازة ،نتيجة لاعتمادها على الإسلام وتبنيها لشعار" لا شرقية ولا غربية " وهو ما أكده الدستور الإيراني [1] .

فحسب الخميني ينقسم العالم إلى ظالمين و مظلومين ، و الظالمين هم القوى الكبرى في العالم ، و يرى الخميني أنه يجب على إيران أن تتحمل مسؤوليتها في " تصدير" الثورة لإنقاذ الشعوب المضطهدة في كل مكان [2]

وقد وضح الفصل العاشر من الدستور أهم محددات السياسة الخارجية خاصة في المواد 152- 153- 154- 155 فتنص المادة (152) على: " **تقوم السياسة الخارجية الإيرانية على أساس رفض أي نوع من أنواع التسلط أو الخضوع ، والحفاظ على الاستقلال التام وعدم الانحياز للقوى المتسلطة ، وعلى تبادل العلاقات السلمية مع الدول المسالمة**". [3]

الملاحظ في هذه المادة تصنيف العالم إلى متسلطين مستكبرين وإلى مظلومين مقهورين ، وتحديد دور إيران بالدفاع عن المقهورين ،لذلك كان و لازال الإسلام الثوري محدد بالغ الأهمية في توجيه السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية منذ قيام الثورة ، إذ أن إيران حسب الخميني " **دولة في الطليعة تقود الجماهير المقهورة نحو الحرية والعدالة** " ، وكانت هذه الأفكار

---

[1] - وليد عبد الناصر ،ايران دراسة عن الثورة والدولة ، ط 1 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1997 ،ص 57.

[2] - James H. Knrse , Determinants of Iranian Foreign Policy :The Impact of Systemic, Domestic and Ideologic Factors , Submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of MASTER OF ARTS IN NATIONAL SECURITY AFFAIRS , NAVAL POSTGRADUATE SCHOOL Monterey, California , June 1994. p54.

[3] - بيزن يزدي ، مدخل إلى السياسة الخارجية لجمهورية إيران الإسلامية ، (ترجمة : سعيد الصباغ)، الدر الثقافية للنشر ، 2000 ، ص 166 .

هي الأساس النظري والمنطلق الفكري لدعم العديد من الحركات والفصائل في مناطق مختلفة من العالم خاصة في العالم العربي والإسلامي .[1]

يقول **أنوشروان إحتشامي** (**Anoushiravan Ehteshami**) أن استخدام إيران للإسلام والرموز الإسلامية لا تزال سمة من سمات "تصور دورها"إذ للإسلام مكانة ودور مهم في صياغة السياسة العامة وإستراتيجية الدولة ،وهو ما سبب لها خلافات في علاقاتها الخارجية.[2]

بقيت إيران دائما تحاول المواءمة بين الأيديولوجية الدينية التي انتهجتها منذ 1979 ،وبين التطورات التي شهدها هذا النظام الدولي، والتغيرات على الساحة الداخلية في إيران ،كي تضمن بقاء النظام واستمرار قوته وتفاعله مع المستجدات الدولية،بحيث أصبحت سياستها الخارجية تسعى للحفاظ على النفوذ الإقليمي في مواجهة التحديات الإقليمية ،والتركيز على المتغير الشيعي كمركز روحي للشيعة ودعمهم في مناطق العالم المختلفة .[3]

الملاحظ أن العقيدة لعبت دور الركيزة الأساسية لرؤية إيران الثورية للعالم ، خاصة في العقد الأول من عمر ثورتها ، وتعتبر مقولة الخميني أصدق تعبير عن ذلك حين قال " **إننا نواجه الدنيا مواجهة عقائدية** " ، كما قدمت إيران في هذه المرحلة لغة خطابية جديدة ومتفردة تميزت بإسلامية المفاهيم من خلال الاقتباس المؤثر من القرآن الكريم ،مما أعطاها إمكانية التأثير على

1- Stephen Jones, The Islamic Republic of Iran: An introduction , research paper , House of Commons Library , December 2009,p91.

2- Anoushiravan Ehteshami and Raymond hinneb, The Foreign Policies of Middle East States ,Lynne Rienner Publishers London,2002 p 288.

3- زرنير آمال ، ص64، مرجع السابق.

المتلقي لهذا الخطاب ، والذي أنتجت من خلاله مجموعة مفاهيم على رأسها الاستكبار ، وكذلك مفهومي الاستقلالية والحكم الإسلامي .[1]

3/الموروث الفارسي: استحضار الدور التاريخي.

أثرت القومية على السياسة الخارجية الإيرانية بشكل ملحوظ، خاصة في عهد الشاه محمد رضا بهلوي (1919- 1980) ، حيث كان هناك تركيز كبير على الرموز الوطنية الفارسية، وعلى التراث العميق لحكام فارس[2]، فكانت الكرامة الوطنية و القومية من العناصر، التي أدخلت تدريجيا في الثقافة السياسية الإيرانية، في ضوء الأحداث التاريخية التي كان لها آثار ايجابية و سلبية مختلفة ، و الشعور بالفخر و الاعتزاز الذي يفوق أحيانا المعتاد ، و يأخذ شكل العداء للآخرين و خصوصا الجيران ،و كما يقول **غراهام فولر** (Graham Fuller) فإن الهزائم التي تلقاها الإيرانيون على يد جيرانهم حولت اهتمامهم بشكل متزايد نحو عظمة تاريخهم .[3]

وقد سيطر هذا النمط من التفكير على النخبة قبل الثورة ، منطلقة مما تعتبره **المسؤولية التاريخية** " Historical Responsibility "على اعتبار أنها دولة ممتدة من حضارة كبيرة وهي الأولى بالقيادة في المنطقة[4]،فساهم العمق الحضاري والتجربة التاريخية في تعزيز طموحات إيران الإقليمية والشعور **بالتفوق الثقافي** Cultural Superiority لدى أجيال متعاقبة من

---

[1]- صادق إسماعيل محمد ، ص 239، مرجع السابق.

[2]- جونسون لويد ، ص111 ، مرجع السابق.

[3]- أحمد نجيب زاده ، دور البيئة المعرفية في سياسة ايران الخارجية ،_مجلة شؤون الأوسط ، العدد 114 ، مركز الدراسات الإستراتيجية ، عمان ، أكتوبر 2011 ، ص 61.

[4]- Anoushiravan Ehteshami , op ,cit , p287.

القادة الإيرانيين ، وإدراكهم أنها بفعل هذا التفوق قادرة على لعب دور كبير في المنطقة المحيطة . [1]

هذا المكون الأيديولوجي المتمثل في الوطنية الإيرانية يعلي من قيم الخصائص الذاتية ، ويرى في مقومات الطابع القومي الأساس لفهم الظواهر والحكم عليها ، وعليه ترى في الإسلام أحد مكونات الشخصية وليس المكون الوحيد ، مما يجعلها لا ترى ضيرا في التعاطي مع الواقع الدولي دون قيود دينية . [2]

وقد كانت القومية والوطنية الفارسية شعارات دائمة للانتفاضات والثورات المختلفة بداية من الثورة الدستورية في (1905- 1911) ، مرورا بصعود مصدق وتأميم النفط وصولا إلى الثورة الإسلامية نفسها ، إذ تم استدعاء القومية بشكل منتظم من قبل النخبة الدينية لتعزيز الوحدة الوطنية ، فلعبت دورا رئيسيا في جهود الخميني لتعزيز الدعم المحلي خلال الحرب مع العراق [3]،في هذا السياق يقول **عبد الله النفيسي أن الإدراك الفارسي Persian Perception** للرمزية العربية يغلب عليه صورة للعربي على أنه الفاتح المقتحم ،الذي لا يبالي بالموروث الفارسي ،ويبدو أن هذه الصورة ترسخت عبر الزمن خاصة في عهد الشاه محمد رضا بهلوي[4].

يرى **أنوشروان احتشامي Ehteshami** أن القومية الإيرانية متميزة بما أسماه بـ "**غطرسة عدم الخضوع**" " The Arrogance of non- Submit" وهذه

---

[1] – Stephen Jones , op,cit,p89.

[2] – عبد الحي وليد، ص262 ، مرجع السابق.

[3] – Stephen Jones , op,cit,p90.

[4] – النفيسي عبد الله ، ايران والخليج ديالكتيك الدمج والنبذ، دار قرطاس للنشر ، الكويت ، 1999 ،ص12.

الحالة حسب احتشامي أدت إلى شعور مبالغ فيه بأهمية إيران وقدرتها، فالملاحظ أن القومية تمارس تأثيرا قويا على السياسة الخارجية الإيرانية لكنه يبدو متناقضا في بعض الأحيان ،إذ تستخدم أحيانا لتبرير المواجهة كما في عهد الخميني أثناء حربه مع العراق ، وهو ما تم إحياؤه في الآونة الأخيرة من قبل أحمدي نجاد ،وفي أحيان أخرى تمارس القومية تأثيرا معتدلا يعزز الحذر والواقعية والنظر إلى مصالح إيران الوطنية ،من خلال إبعاد الحماسة الدينية والثورية للنظام [1].

4/ البراغماتية الثابت غير المتغير في السياسة الإيرانية .

لكن وبرغم ما للأيديولوجيا من تأثير على السياسة الخارجية لإيران بحكم تركيبة وطبيعة النظام ، وما يحمله من شعارات يغلف بها سياسته واختياراته سواء كانت ذات طابع ديني أو قومي، فالبراغماتية والمصلحة الوطنية محدد مهم أيضا لكل نظام سياسي مهما كان حتى ولو كان ينسب نفسه لأيديولوجيا معينة .

يجادل روحي رمضاني(R.K.Ramazani) أنه من الخطأ الاعتقاد أن سجل السياسة الخارجية الإيرانية منذ اندلاع الثورة في عام 1979 نادرا ما يكشف عن تجاهل صناع القرار للمصالح البراغماتية للدولة [2].

فبرغم ما للإسلام والقومية من أثر على السياسة الخارجية لإيران من الخطأ الاعتقاد أن الأيديولوجيا وحدها هي المحدد الرئيسي أو الوحيد للسياسة الخارجية الإيرانية ، بل هناك اعتبارات سياسية واقتصادية وإستراتيجية تؤثر في صنع القرار وربما بشكل أكبر ، والتاريخ الإيراني القديم والحديث يؤكد على ذلك ، ولعل من أبرز الأمثلة صفقة السلاح السرية مع أمريكا وإسرائيل

---

1 – Stephen Jones , op,cit,p91.

2 – R.K.Ramazani , Ideology and pragmatism in Iran's Foreign Policy ,Middle East Journal ,Volume 58, October ,2004, P555.

في الثمانينات خلال الحرب مع العراق ، كما يلاحظ أن الميولات نحو البراغماتية زادت بعد وفاة الخميني خاصة في عهد "هاشمي رفسنجاني" و"محمد خاتمي" الذين سعيا للتخلص من العزلة المفروضة على إيران منذ الثورة.[1]

في منطقة بحر قزوين السياسة الإيرانية بثلاث سمات بارزة هي : الحذر،و التركيز على المصالحة ،والتأكيد على المصالح الاقتصادية و الأمنية بدلا من التحالفات الأيديولوجية [2]،وفي تناقض بارز بين الأيديولوجيا و البراغماتية دعمت إيران أرمينيا (المسيحية) في صراعها حول منطقة ناكورنو كارباخ ، على حساب أذربيجان (الشيعية) ، رغم أن 25% من الإيرانيين هم أذريون .

ولعل التحولات التي حدثت في المحيط الإقليمي لإيران خير دليل على هذه البرغماتية ، وعلى رأسها احتلال العراق وأفغانستان ، وكيف استغلت إيران هذين التحولين من أجل ترسيخ وتعظيم نفوذها ،ففي 2003 بُعيد الاحتلال الأمريكي للعراق ،و اكتمال الطوق على إيران ، أعد الإيرانيون اقتراحا شاملا بين حدود صفقة ضخمة محتملة بين البلدين تعالج كافة نقاط النزاع بينهما ، يقول فينيت ليفيرت الذي خدم كمدير رفيع في شؤون الشرق الأوسط لدى مجلس الأمن القومي حينها " اعترف الإيرانيون بأن أسلحة الدمار الشامل و دعم الإرهاب قضيتان هامتان بالنسبة إليهم ، و أنهم على

---

[1] - Stephen Jones , op,cit,p93.

[2]- مزيان فهد خزار الخزار ، الجمهورية الإسلامية الإيرانية و موارد بحر قزوين رؤية تحليلة لفرص السياسة الخارجية و معرقلاتها ، مجلة دراسات إيرانية ، العدد 5 ، 2006، ص 83.

استعداد للتفاوض عليها " ، و بالتالي وضع الإيرانيون كافة أوراقهم للتفاوض . [1]

بالمقابل على المستوى الإستراتيجي طلب الإيرانيون تفاهم على المدى الطويل مع الولايات المتحدة ، عبر وقف كافة الأعمال العدائية ، خاصة التدخل في الشؤون الإيرانية ، و إنهاء العقوبات ، و احترام المصالح القومية الإيرانية بالعراق والمنطقة ،واحترام حق إيران في الحصول على التكنولوجيات النووية [2].

رفضت إدارة جورج بوش العرض ، لكنها استفادت من التنسيق الأمني مع إيران في كل من أفغانستان و العراق ، لتعود إدارة باراك أوباما و تصل إلى اتفاق يكاد يكون بنفس البنود ، لكن في وضع جيو- استراتيجي مختلف ، أضحت فيه إيران ذات دور مركزي و فاعل محوري في الشرق الأوسط ، هذا الأخير الذي أصبحت أهميته تتضاءل بالنسبة لأمريكا .

كشف الحراك العربي، خاصة الأزمة السورية عن المستوى العالي البراغماتية الإيرانية ، حيث كانت سياساتها تتصادم بشكل صارخ مع كل خطاباتها الأيديولوجية حول " المستضعفين" ، و قد حاولت طهران احتواء الربيع العربي ، و اعتباره امتداد لصورتها ، لكن عندما تعارضت الثورات مع مصالحها ، انحازت إلى المصالح الوطنية ، على اعتبار أن التغيير في خارطة تحالفاتها سيؤدي إلى تقويض مصالحها و انكماش دورها ، و يمكن أن تمتد حركات الاحتجاج إلى داخلها ، مما يهدد نظام ولاية الفقيه برمته .

بالرغم من الاختلاف الكبير في طرق و تبريرات كل من البهلوي و الخميني ، كانت أهدافهما الإستراتيجية متشابهة إلى حد بعيد ، فعلاوة على لعب دور"

1- تريتا بارزي ، حلف المصالح المشتركة : التعاملات السرية بين إسرائيل و الولايات المتحدة ، (ترجمة : أمين الأيوبي)، الطبعة الأولى ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، 2008 ، 339.

2- نفس المرجع السابق ، ص 342.

الأول بين الأقران" في المحيط الهندي و منطقة غرب آسيا، سعت حكومة آية الله الخميني إلى قيادة العالم الإسلامي بأكمله ، أي أن كلا من الشاه و الثوريين رغب في لعب دور سياسي يتجاوز الموارد المتوفرة لإيران [1]، لكن الملاحظ أنه رغم الاتصال العضوي بين الأيديولوجيا والسياسة الخارجية الإيرانية وإجراءاتها، إلا أنها تمثل غطاء نظريا عاما قابل للمرونة إلى درجة معينة بحسب الظروف والقضايا المستجدة . [2]

---

[1]- نفس المرجع السابق ، ص 132.

[2]- عبد الله يوسف سهر محمد ، ص 13، مرجع السابق.

قائمة المصادر والمراجع :

1/ المراجع باللغة العربية :

أ/ الكتب:

1- اللباد مصطفى ،حدائق الأحزان إيران وولاية الفقيه، دار الشروق ،القاهرة .

2- النفيسي عبد الله ، ايران والخليج ديالكتيك الدمج والنبذ ، دار قرطاس للنشر، الكويت .

3- بيزن يزدي ، مدخل إلى السياسة الخارجية لجمهورية إيران الإسلامية ، (ترجمة : سعيد الصباغ) ، الدار الثقافية للنشر ، (د م ن).

4- جنسن لويد ،تفسير السياسة الخارجية،(ترجمة محمد بن احمد المغني ومحمد السيد سليم)، جامعة الملك سعود ،الرياض.

5- نوري النعيمي أحمد ،عملية صنع القرار في السياسة الخارجية الولايات المتحدة أنموذجا، دار زهران ، عمان.

6- وليد عبد الناصر،ايران دراسة عن الثورة والدولة ، ط 1 ،دار الشروق ،القاهرة .

7- صادق إسماعيل محمد ،إيران من الشاه إلى نجاد، العربي للنشر و التوزيع ،القاهرة .

8- تريتا بارزي ، حلف المصالح المشتركة : التعاملات السرية بين إسرائيل و الولايات المتحدة ، (ترجمة : أمين الأيوبي) ، الطبعة الأولى ،الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت .

9 - عبد الحي وليد ،إيران مستقبل المكانة الإقليمية عام 2020، مركز الدراسات التطبيقية، الجزائر.

2/ الدوريات -

1- أحمد الحباشنة صداح ،محددات السياسة الخارجية الإيرانية تجاه الولايات المتحدة الأمريكية (1979،2007) ، سلسلة العلوم الاجتماعية، العدد الخامس ، مؤتة للبحوث والدراسات، 2008.

2- أحمد نجيب زاده ، دور البيئة المعرفية في سياسة ايران الخارجية ، مجلة شؤون الأوسط ، العدد 114، مركز الدراسات الإستراتيجية ، عمان ، أكتوبر 2011 .

3- زرنير آمال ، السياسة الخارجية بين تطبيق نظرية ولاية الفقيه وتطبيق العامل الشيعي ، مجلة آراء حول الخليج ، العدد 94 ، مركز الخليج للأبحاث ، الإمارات ، ، يوليو 2012.

4- مزبان فهد خزار الخزار ، الجمهورية الإسلامية الإيرانية و موارد بحر قزوين رؤية تحليلية لفرص السياسة الخارجية و معرقلاتها ، مجلة دراسات إيرانية ، العدد 5 ،جامعة البصرة، 2006.

5 - عبد الله يوسف سهر محمد ، السياسة الخارجية الإيرانية تحليل لصناعة القرار ، السياسة الدولية، العدد 138، مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية ، القاهرة، 1999 .

6- طلال صالح بنان ، إيران معضلة التعايش بين نظرية ولاية الفقيه والديمقراطية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 155 ، مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية ، القاهرة ، يناير 2004 .

2/ المراجع باللغة الأجنبية -

1 - Anoushiravan Ehteshami and Raymond hinneb, The Foreign Policies of Middle East States ,Lynne Rienner Publishers , London,2002 .

2 - James H. Knrse , Determinants of Iranian Foreign Policy :The Impact of Systemic, Domestic and Ideologic Factors , Submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of MASTER OF ARTS IN NATIONAL SECURITY AFFAIRS , NAVAL POSTGRADUATE SCHOOL Monterey, California , June 1994.

3 - R.K.Ramazani , Ideology and pragmatism in Iran's Foreign Policy ,Middle East Journal_,Volume 58, October ,2004 .

4- Stephen Jones, The Islamic Republic of Iran: An introduction , research paper , House of Commons Library ,December 2009.

إيران دولة ذات عمق حضاري كبير يساهم في إدراكها لدورها الإقليمي ، لكن الدولة الوطنية مرتبطة كذلك بمصالحها ، و التي غالبا ما تتعارض مع الغايات الأيديولوجية ، هذه الأخيرة التي تُستدعى لتبرير مخرجات النظام ، أو للحشد وراء اختياراته ، ورغم التحولات الأيديولوجية التي شهدتها إيران إلا أن هذا لم يكن على حساب البراغماتية ، التي ظلت المحدد الثابت للدبلوماسية الإيرانية .